

روح المعاني

فى آية أخرى ولأصلنهم عن الطريق الاحق ولأمنهم الأمانى الفاسدة من كسب اللذات الفانية ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام أى فليقطعن آذان نفوسهم عن سماع ما ينفعهم ولأمرنهم فليغيرن خلق الله وهى الفطرة التى فطر الناس عليها من التوحيد والذين آمنوا ووحدوا وعملوا الصالحات واستقاموا سندخلهم جنات جنات الافعال وجنة الصفات وجنة الذات ليس أى حصول الموعود بأمانكم ولا أمانى أهل الكتاب بل لابد من السعى فيما يقتضيه وفى المثل إن التمنى راس مال المفلس ومن أحسن ديننا أى حالا ممن أسلم وجهه لله وسلم نفسه اليه وفنى فيه وهو محسن مشاهد للجميع فى عين التفضيل سالك طريق الاحسان بالاستقامة فى الأعمال واتبع ملة ابراهيم فى التوحيد حنيفا مائلا عن السوى واتخذ الله ابراهيم خليلا حيث تخللت المعرفة جميع أجزائه من حيث ماهو مركب فلم يبق جوهر فرد إلا وقد حلت فيه معرفة ربه D فهو عارف به بكل جزء منه ومن هنا قيل : إن دم الحلاج لما وقع على الأرض انكتب بكل فطرة منه الله وأنشد ما قد لى عضو ولا مفصل إلا وفيه لكم ذكر والله ما فى السموات وما فى الأرض لأن كل ما برز فى الوجود فهو شأن من شئونه سبحانه وكان الله بكل شء محيطا من حيث أنه الذى أفاض عليه الجود وهو رب الكرم والجود لرب غيره ولا يرجى إلا خيره ويستفتونك فى النساء أى يطلبون منك تبين المشكل من الأحكام فى النساء مما يجب لهن وعليهن مطلقا فانه E قد سئل عن أحكام كثيرة مما يتعلق بهن فما بين فيما سلف أحيل بيانه على ماورد فى ذلك من الكتاب وما لم يبين بعد بين هنا وقال غير واحد : إن المراد يستفتونك فى ميراثهن والقربنة الدالة على ذلك سبب النزول فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن جبير قال : كان لا يرث إلا الرجل الذى قد بلغ أن يقوم فى المال ويعمل فيه ولا يرث الصغير ولا المرأة شيئا فلما نزلت المواريث فى سورة النساء شق ذلك على الناس وقالوا أيرث الصغير الذى لا يقوم فى المال والمرأة التى هى كذلك فيرثان كما يرث الرجل ! فرجوا أن يأتى فى ذلك حدث من السماء فانتظروا فلما رأوا أنه لا يأتى حدث قالوا لئن تم هذا أنه لا يأتى حدث قالوا لئن تم هذا إنه لواجب ما عنه بد ثم قالوا : سلوا النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال : كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئا كانوا يقولون لا يغزون ولا يغنمون خيرا فنزلت وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نحوه وإلى الأول مال شيخ الاسلام قل الله يفتيكم فيهن أى يبين لكم حكمه فيهن والاقتفاء إظهار المشكل على السائل وفى البحر يقال : أفتاه إفتاءا وفتيا وفتوى وأفتيت فلانا رؤياه عبرتها له .

وما يتلى عليكم فى الكتاب فى ما ثلاثة احتمالات : الرفع والنصب والجر وعلى الأول : إما أن تكون مبتدأ والخبر محذوف أى وما يتلى عليكم فى القرآن يفتيكم ويبين لكم وإيثار صيغة المضارع للايذان بدوام التلاوة واستمرارها وفى الكتاب متعلق بـ يتلى أو بمحذوف وقع حالا من المستكن فبه أى يتلى كائنا فى الكتاب وإما أن تكون مبتدأ و فى الكتاب خبره والمراد بالكتاب حينئذ اللوح المحفوظ إذ لو أريد به معناه المتبادر لم يكن فيه فائدة إلا أن يتكلف له والجمله معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلوا وما يتلى